لحظـــات في رحـــاب الـــوزارة

د. علي عبد الله محمد الحسين

جَهْلُ بعض الناس بما لا يعرفونه من الأعمال والوظائف قد يسوقهم إلى مهابتها والخوف من اقتحامها خاصة أولئك الذين أَسَرَتْهُمْ نفوسهم وقعدت بهم هممهم عن الانطلاق في رحاب الأرض الفسيحة، فهم يدورون في فلك واحد لا يستطيعون عنه فكاكًا، ولا يرضون به بديلاً ، فيقعد بهم الأسر عن بذل ما استكن في دواخلهم من عطاء، وتفجير ما كمن في جوانحهم من طاقات، وقد مَنّ الله تعالى علينا معشر بني البشر أن جعل لنا الأرض ذلولاً ، وأمرنا بالسعي في مناكبها والأكل من رزقه حيثما كُنّا فقال عز شأنه: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في منكابها وكلوا من رزقه وإليه النشور).

لا شك أن حياتنا سلسلة من اكتشاف جهلنا، وحلقات متصلة من تطوير ذواتنا، كلما علمنا شيئًا لم نكن نعرفه دَلّ ذلك على أننا اكتشفنا جهلنا بهذا الذي علمناه، ثم تمضي بنا الحياة فإذا الذي علمناه يقودنا إلى غيره مما لم نعلمه، وهكذا نظل في كشف لا ينتهي، وبحث مستمر، وجهد متصل في هذا العالم الواسع، بحث يرقى به العقل، ويُقرّب من الرب، وتفرح به النفس، وينتفع به غيرنا، ونعمر به الكون.

جاءني التكليف وزيرًا للتربية والتعليم بنهر النيل يمشي على قدميه، يسعى إليّ ولم أكن قد سعيت له، دعيت إلى الوزارة بحكم مسقط الرأس وموطن الأهل وتسلسل الرحم، ولمعانٍ أخرى قدرها الداعون وجهلها المدعو.

لبيت الدعوة بحسبان الوزارة محرابًا للعبادة جديدًا، وساحة رحبة للاطلاع على عوالم مجهولة، ينبثق منها ضياء ويشع منها نور يهدي لنور الله، فلبيت الدعوة وأجبت النداء، جاهلاً بما أنا مُقْدِمٌ عليه، غير أنه قد صح مني العزم على سبر الأغوار، وكشف الأستار، ونفض الغبار، فأبني على محاسن من سبق، وأصلح منه ما فسد، لا اقتداء بمن قال الله فيهم: (كلما جاءت أمة لعنت أختها)، بل سيرًا على خطا الحبيب صلى الله عليه وسلم القائل: (وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم).

فاستشرت من أحسنت بهم الظن،(فالمستشار مؤتمن)، وأنا أُقَدِّمُ رجلاً وأُؤَخِّر أخرى، ثم استخرت الله العظيم بعلمه، واستقدرته بقدرته، وسألته من فضله العظيم، فإنه يقدر ولا أقدر، ويعلم ولا أعلم، وهو علام الغيوب، وسألته أن يصرف عني ما كان شرًا لي، ويقدر لي الخير حيث كان ثم يرضيني به، ثم توكلت على الله وولجت.

يسيل لعاب الكثيرين لمنصب الوزير، يرون الزهور تكلله وتزينه وتعمى الأعين عما يحيط بهذه الزهور من أشواك، لا يرون ما يحيط بهذا المنصب من قيود وضوابط، أعظمها الخوف من الله، وأدناها هؤلاء الذين يتعقبون دخولك وخروجك، ويحصون عليكم أنفاسك، فهم يسترزقون من تعقبهم لك، ويشعرون أنهم يؤدون واجبًا منوطًا بهم، إنهم أهل المراسم، يرصدونك قائمًا وقاعدًا، ويلزمونك بمراسمهم، كيف تجلس وكيف تقوم، من تصافح وكيف تصافح، متى تخرج وإلى أين تذهب، متى تخاطب ومتى تصمت.

أغلب الناس بصرهم كليل عن الأفواه التي تنتظر الوزير، والبسطاء الذين يترددون عليه، والأهل والأقارب الذين يدفعون للوزير بأبنائهم ليكفيهم مؤونة الصرف على التعليم، والصرف على العلاج وما بين ذلك من أمور لا تخفى على أهلنا البسطاء من السودانيين.

يظن الناس أن منصب الوزير تهطل عليه الأموال من السماء، وأن إشارة منه كافية لامتلاك مال قارون، يرمقون عربات تتحرك، وأخرى تقف في الانتظار، فيظنون أنها جنة الله في أرضه، يرون هذه المظاهر ولا يرون رقابة المولى، ولا رقابة الجهاز التشريعي، أو المتابعة من مجلس الوزراء لأداء، خطة الوزارة التي تتابع يومًا بيوم،ولا التابعة من إدارات الوزارة التي لا تقف حركتها ...

ويحسن هنا أن أستعير بعض الكلمات من مقال بصحيفة الانتباهة الصادرة يوم ٢٠١١/٩/١٠م بعنوان: (مرتبات الدستوريين الشمار والمرقة) بقلم وزير الثقافة والإعلام بولاية النيل الأبيض فمما جاء في ذلك المقال ما يلي:

(هذا المنصب له تبعات مرهقة ومكلفة لا تترك لشاغله وقتًا كما قال المهندس بلال طه لأسرته ... ويصعب عليه جدًا التحرك كما يتحرك عامة الناس ... ومهما فعل «الدستوري» للتحلل من قيود المنصب والهروب من رقابة (البروتوكول) والمراسم سيجد نفسه مقيدًا بها ذلك لأن آخرين يأكلون عيشهم من حراسته ومتابعة برنامجه اليومي والإشراف عليه بعلمه أو بدونه!!

أسباب كثيرة وعديدة جعلت وستجعل المنصب الدستوري في السودان «وظيفة» طاردة وغير جاذبة وبقراءة عاجلة لخارطة الاستيزار في السودان خلال السنوات الأخيرة نجد مغادرة أسماء وكفاءات عديدة تركت المنصب الوزاري وزهدت فيه وفضلت أداء واجب العمل العام بعيدًا عن «مربع» الاستيزار الذي تحيط به وتحدده مقعدات كثيرة وعقبات جمة على الصعيد الشخصي تجعل من الوظيفة هذه سجنًا كبيرًا يتحرك فيه شاغله بعلمه!!

هذه هي الحقيقة المُرة التي يسكت عليها من يقبلون الوظيفة الوزارية أو قل الدستورية لقناعتهم بأنهم يؤدون واجبًا وطنيًا ويقومون بتكليف يُسألون عنه يوم القيامة ... وبهذا لا تكون هذه الوظيفة البراقة عندهم غاية يسعون إليها ولا موقعًا يحرصون عليه ويقاتلون في سبيل البقاء فيه والتمسك به مهما كلفهم ذلك من رهق التآمر وعناء الدس والكيد الرخيص!! بل يسعون لحماية مواقعهم بتحالفات قبلية والاستعصام بشخصيات نافذة يفقدون احترامهم لديها عند بوابة الخروج من مكاتبها حيث يبثون شكواهم ويضعون رغبتهم المستترة والمعلنة في البقاء والاستيزار يطلبون المنصب ويسعون إليه !!)

مكثت في الوزارة أكثر من عامين بقليل، علمتني كثيرًا مما لم أكن أعلم، طفت فيها أرجاء ولاية نهر النيل مهد أجدادي وموطن أهلي، فاكتحلت عيني ببواديها وجزرها وآثارها التأريخية، وعبرت نيلها المتثني طربًا في رحلته نحو الشمال، وهو يستتر من عريه بأشجار النخيل وكساء الخضرة الاستبرقي المترامي على شاطئيه، عبرته عند التوآته المتعددة بشتى وسائل العبور، من الشرق إلى الغرب تارة، ومن الغرب إلى الشرق تارة أخرى، وكانت تتغشاني أحيانًا نسائم الأدباء فأذكر طورًا أمير الشعراء شوقي وهو يستنطق النيل في رائعته ذات الثلاث والخمسين والمائة بيت والتي مطلعها:

من اي عهد في القرى تتدفق
وباي كف في المدائن تُغدق
ومن السماء نزلت ام فجرت من
عُليا الجنان جداولاً تترقرق

وطورا آخر أردد مع شاعر السودان إدريس جماع قصيدته عن النيل والتي مطلعها:

النيل من نشوة الصهباء سلسله
وساكنو النيل سمار وندمان
وخفقة الموج اشجان تجاوبها
من القلوب التفاتات واشجان
كل الحياة ربيع مشرق نضر
في جانبيه وكل العمر ريعان

استهوتني آثار ود حسونة في حجر العسل، وخلاوى الكتياب غرب العلياب، وديار المجاذيب في الدامر، ومحاريب الغبش وكدباس بغرب بربر، وساحات الحلفا بشمالها، وغيرها مما يضيق المجال عن ذكره مما تعمر به الولاية من حلقات القرآن، وساحات الذكر، ومجالس العلم، العامرة بأهل الصلاح وحملة الدعوة، فشاركتهم مهمة الرسل، وميراث الأنبياء، الذين لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا لكنهم ورثوا العلم، فحاضرت حيث سنحت الفرصة، وتلوت معهم القرآن، وشاركت في الذكر، وحلقات العلم.

وإن أَنْسَ لا أنسى شعر المجذوب في مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم في ديوانه المشهور، الذي اقتنيته نشوة لروحي، ومتعة لصوره البديعة، ووصفه الصادق، واستمعت إلى أعمامي في الدامر وهم ينشدون قصائد المجذوب بأصوات شجية، وقلوب رقيقة، وسكون صوفي، خاصة قصيدة المجذوب عن دموعه المصبوبة في حب الرسول صلى الله عليه وسلم والتي طار بها المداح، وشهرها المنشدون والتي مطلعها:

عليك صلاة الله ثم سلامه الا يا رسول الله إنى مغرم
صَبَبْتُ دُمُوعاً يَشهَدُ الحُزنُ أنّها أتَت مِن فُؤَادٍ بالغَرَامِ مُتَيَّمُ
وَلَيسَ لَهُ مِن ذَا التَّتَيُّمِ مُشرِحٌ سِوَى ان يَرَى مَعشُوقَهُ فَيُسَلِّمُ
يَقُولُ لِى المَعشُوقُ لاَ تَخشَ بَعدَ ذَا حِجابًا وَلاَ طَردًا فَعَهدِى مُتَمِّمُ
مَتَى ما ارتَقَتْ القُربَ مِنِّي فَنادِنِى أَلاَ يا رَسُولَ الله إِنِّىَ مُغرَمُ
أُجِيبُكَ مِن بُعدٍ وَإِنِّى جَلِيسُ مَن بِحُبِّيَ مَشغولٌ بِذِكرِي مُتَرجِمُ
حَلَفتُ يَمِينًا إِنَّ قَلبًا يُحِبُّكُم عَلَيهِ عَذابُ النَّارِ قَطعًا مُحَرَّمُ
فَكَيفَ بِمَن قَد شامَكُم كُلَّ ساعَةٍ فَهذَا يَقِينًا في الجِنانِ يُنَعَّمُ

وجَالَست أهل الولاية على اختلاف قبائلها المتحدرة من أصل واحد، كما جالست وزراء التربية بولايات السودان المختلفة في لقاءات دورية، كشفت لي فقر ولايتنا قياسًا إلى بعض الولايات التي خطب ودها أهل المنظمات، فأغدقوا لها العطاء طمعًا في ثرواتها.

هذا فضلاً عن مشاركات اجتماعية تخفف عنك من عبء الوزارة، وتدفع بك للناس تعانقهم وتسامرهم فتجلس إليهم تتلمس همومهم وتشورهم ويشورونك في أمن وأمان وفكاهة وجد.

لا يسع المقام لبسط ذكريات الوزارة، لكنه يسع دروسًا ينتفع بها الكاتب والقارئ والمبلغ، فرب مبلغ أوعى من سامع، ولعلني هنا أشير إلى بعض ما يمكن أن يكون اختصارًا لفوائد الوزارة:

١- مسؤولية التكليف:

تعلمت من التكليف بالقيام بمهمة الوزارة أنه لا اختلاف بين تكليف الوزير أو تكليف الخفير أو غيرها من التكاليف الأخرى، فكلها ابتلاء واختبار، على قدر المكلف، يحاسب الله الوزير كما يحاسب الخفير، كله أمانة، (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)، (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)

٢- اكتشاف الطاقات:

علمتني الوزارة أن التكليف فرصة لاكتشاف ما كمن في النفس من طاقة، فكثير مما يظن المرء أنه لا يستطيع فعله يكتشف أنه قادر على فعله، إذا صح عزمه وشحذ قدرته، فإن القيام بالتكليف يتطلب قدرة وإرادة فحسب، وما يمنع المرء من اكتشاف قدراته إلا العجز والكسل، وهما اللذان كان يستعيذ منهما رسولنا صلى الله عليه وسلم: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل)، والعجز فَقْدُ القدرة، والكسل فَقْدُ الإرادة.

٣- معادن الناس:

الناس معادن كالذهب والفضة، منهم من يحملك على الاعتقاد في عفته وتقواه وخوفه من الله، فإذا بالأحداث والمواقف تبيّن لك خطأ هذا الاعتقاد، وتكشف لك عن حية رقّطاء تتلون وتتلوى لحماية نفسها والوصول إلى هدفها.

ومنهم أناس كالجبال قد لا تعبأ بهم، أو لا تعيرهم بالاً، فإذا نفوسهم كبيرة وهمومهم أكبر وحرصهم أشد مما كنت تتوقع من أمثالهم. وفي الحديث: (كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبر الله قسمه، منهم البراء بن مالك رضي الله عنه)

٤- اختبار النفس:

الفتنة اختبار الإيمان وصدقه، من السهل ادعاء رقابة الله والخوف منه، وعند الابتلاء يختبر الادعاء، ويذهب الزبد جفاء.

٥- أزمة إنسان:

تعلمت من العمل في الوزارة أن كثيرًا من أزمات السودان فيما يختص بالتطور والتنمية تدور حول المواطن السوداني نفسه، ووعيه بضرورة الصبر والمصابرة على قهر الصعاب، والحاجة إلى التعاون الصادق من أجل قضايا الوطن، والانعتاق من أسر الحزبية والقبلية والجهوية وحب السلطة والجاه. مشكلة السودان في مواطنه من حيث عزمه على التنمية وإصراره على قهر الصعاب والتعاون من أجل الوطن الواحد إن فهم المواطن السوداني لدوره في إدارة دولاب الحياة يحتاج إلى مزيد من الجهد

٦- اختبار الصدق:

الوزارة فرصة لاختبار صدقك مع الله وخوفك منه حيث السلطة لديك وكلهم يخدمك وتنال ما لم ينل غيرك مما تشتهيه النفس ويرغب فيه الناس

٧- التطوير:

الوزارة درس لكل عامل في أي موقع أن ينتهج التطوير المستمر منهجًا مهما اختلف مكان التكليف وزمانه وحاله إذ أن الأداء الرتيب للعمل يفقده لذة التمتع به ويجلب السأم إليه ويقعد بالمرء عن البذل والإبداع.

انتبهـــوا

د. محمد موسى البر

وظائف الإعلام الإســـــلامي

واجه الإسلام على مدى تأريخه الطويل ، ولا يزال يواجه تحديات وحملات عديدة تستهدف الإسلام والمسلمين ، وتستهدف حقيقة وجود الإسلام والسيطرة الكاملة على كل أرضه ، وكل أرض يذكر فيها اسم الله ويصلى فيها على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

بلغت هذه التحديات والحملات حدًا كبيرًا من القسوة والبشاعة وصلت إلى حد ممارسة الإبادة الجماعية ضد المسلمين ، مثلما يحدث اليوم في فلسطين ، وفي البوسنة والهرسك والبلقان وكشمير والشيشان ... وغيرها كثير من بلاد المسلمين ، وتتخذ هذه الحملات كل يوم شكلاً ولونًا جديدًا ، حيث كانت العلمانية إحدى هذه الأشكال ، بل هي أخطرها على الإسلام والمسلمين ، وهي العلمانية بمفهومها غير الدينى المعادي للدين الإسلامي والتي يستتر وراءها أعداء الإسلام من أجل توجيه ضربات موجعة إليه في محاولة لإبعاد المسلمين عن إسلامهم ، وبينما رُفِعَ شعار العلمانية وقامت حملتها ، انبهر بها من مجتمعاتنا الإسلامية كثير من مفكرينا ، فآمنوا بها ودعوا لها ، وبخاصة الذين يسيطرون على المنابر الإعلامية المختلفة الذين عملوا على خلق أجيال من شبابنا بلا قضية وبلا قدوة ، حتى يتسنى لهم إخراج المسلمين من دينهم .

فنظام الإعلام الإسلامي عندما يتصدى للحملة العلمانية فإنه لا بد له من أن يدرسها دراسة كاملة من مصادرها ، ويبين مناقضتها للدين بل كل الأديان ، ولا سيما الدين الإسلامي . ويبين خطرها على العالم الإسلامي وعلى عقيدة المسلمين ويكشف عورها ، ويشير نظام الإعلام الإسلامي إلى أن العلمانية كان لظهورها في الغرب المسيحي وعلى المسلمين ؛ فالعلمانية (صناعة غربية) لم تنبت في أرضنا ولا تستقيم مع عقائدنا ومسلماتنا الفكرية .

أثـــر الخـــلافـــات الأســـريـــة علـــى الأبنـــاء

بقلم الطالبة : سلمى أحمد مصطفى

تعتبر الخلافات الأسرية من أبرز الأشياء التي تؤثر نفسيًا على الأبناء حيث تزرع الخوف في داخلهم وأيضًا تؤثر على التحصيل الدراسي .

من الأسباب التي تؤدي إلى الأمراض النفسية للأبناء هي تمييز أحد الوالدين لأحد الأولاد .

هنالك مضاعفات جسمية تلازم الأولاد الذين يعيشون في ظل أجواء عنيفة داخل العائلة وفي حالة توتر توقعه في أزمات تجعله يفقد القدرة على السيطرة والتأقلم مما يؤدي إلى خطر الفشل في الحياة عمومًا.

فقدان شيء ما وهذا الشعور ينعكس على تحصيلهم الدراسي وعلى أمنهم العاطفي وعلى القدرة في الاستمرارية بإقامة علاقات اجتماعية خالية من التوتر والخوف والقلق وتمييز أحد الوالدين لأحد الأولاد وهو ما يحدث عند الوالدين في (اللاوعي) داخلهم .

الأمر الذي يجعلهم يفضلون أحد الأولاد والذي يشبههم كثيرًا ويذكرهم بحالهم ويجعلونه حليفًا لهم وينفرون من الابن الذي يشبه الشريك الآخر .

وهذا التمييز من شأنه أن يؤثر على دراسة الأبناء فيجعلهم غير قادرين على التأقلم في مدرستهم ودروسهم حتى وإن كانوا أطفالاً أذكياء لأن شعور الإحباط الذي زُرِعَ داخلهم جعلهم يشعرون بأنه لا يمكن أن يكونوا ذوي فائدة وقدرة على أداء أي فعل كان وذلك بسبب شعورهم بأنهم مهملون مقارنة بإخوانهم المميزين والمحبوبين لأهلهم .

وتعتبر الأسرة واحدة من المؤسسات الاجتماعية الرئيسة ولديها وظائف مهمة فيما يتعلق بالأطفال وهذه المهام والوظائف هي التعليم غير الرسمي والتدريب ونقل ثقافة الوالدين والمعرفة العملية والزمالة والممارسة والسيطرة والحماية وتحقيق الأمان النفسي وفي حالة حدوث اضطراب في العلاقات بين الزوجين فإن تأثيره لا يقتصر على الوالدين فقط بل يمتد للأبناء ويظهر هذا التأثير على شكل اضطراب نفسي وانحراف سلوكي .

يجب الاهتمام بالحالة الصحية بالنسبة للأبناء والصحة تعرف بأنها حالة اكتمال السلامة البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية وليست مجرد خلو الجسم من المرض والعجز وهذا مما يؤكده ارتباط النواحي البدنية والعقلية والاجتماعية في آن واحد .

كذلك تأثر كل جانب بالأخذ والاضطراب إلى جانب آخر ينعكس على حالة الفرد العامة.

لذا لا بد لنا من وقفة مع أنفسنا ومراقبة دقيقة لردود أفعالنا عند تربيتنا لأبنائنا والامتناع عن النقاش والجدل أمامهم حتى لا يتأثر الأبناء .